المجلة العلمية لكلية الآداب مج 12، ع 6 (2023) 73 - 97
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

معيار القصدية في كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون: دراسة نصية

منى مسعد محمود عبد العزيز[1] ، عزة حسين حسين غراب[2]
[1]طالبة ماجستير – اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة دمياط، [2] أستاذ مساعد العلوم اللغوية المتفرغ - كلية الآداب جامعة دمياط

المستخلص

تعد المقاصد من العوامل المؤثرة في الاستعمال اللغوي على مستوى التأويل, وكذلك توجيه الكاتب إلى انتقاء الطرق التي تتكفل بانتقال مقاصده، وتهدف هذه الدراسة إلى تناول معايير النصية المعاصرة وتطبيقاتها في كتب التراث العربي القديم في مجال اللسانيات النصية, من خلال البحث عن المقاصد لدى سهل بن هارون في كتابه النمر والثعلب، وفق منهج علم اللغة النصي ، للوقوف على المقاصد المباشرة وغير المباشرة المتضمنة داخل النص الذي جاء على ألسنة الحيوان؛ انعكاسًا لحياة سهل في العصر العباسي الأوّل, حيث نشأ سهل وعاصر أحداثه ومتغيراته، فقد توارت المقاصد خلف التلميح، وهو ما يتطلب قراءة خاصة لفك شفراتها، وفهم ما بين سطورها, وتجاوز القراءة السطحية إلى مستوى أعمق وأشمل؛ حتى يتسنى للمتلقي إدراك مقاصد النص الخفية، ولكي نستطيع الكشف عن هذه المقاصد لا بد من الرجوع إلى زمن تأليف الكتاب وهو العصر العباسي الأول. وتسهم القصدية في خلق علاقة ديناميكية بين العناصر اللغوية، وغير اللغوية من خلال وظيفتها في إنتاج مجال دلالي يربط النص بمنتجه وقارئه، ويعمل على تجسيد التفاعل بين أقطاب العملية التواصلية، التي بدورها تفيد في توجيه المتلقي إلى فهم النص، وبلوغ مراميه ، لقد استخدم سهل مجموعة من الأقوال الخفية التي أحيلت لمقاصد داخل النص لتقييم سلوك الحكام، والوقوف على القيم الاجتماعية المحمودة التي تهدف إلى مكارم الأخلاق، انتهاءً بإبراز دور العقل السليم ودوره في تهذيب النفس. ويسعى البحث إلى الدراسة التطبيقية التي تكشف عن مكنون الشخصيات المقنعة بالرمز وطبيعتها الاستعارية التي وظفت داخل الحكاية، حيث فرض السياق السياسي على سهل بن هارون أن يبني كتابه ظاهريًا على قصد الإمتاع والتسلية، بينما هو في جوهره يستخدم التلميح عن طريق أقنعة الحيوانات بهدف نقد السلطة والحكم.

الكلمات المفتاحية: معيار؛ القصدية؛ النمر والثعلب؛ سهل بن هارون؛ نصية.

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: 2023/2/21
تاريخ استلام النسخة النهائية: 2023/4/11
تاريخ قبـــول المقالـــــة: 2023/4/27

Scientific Journal of Faculty of Arts 12 (6) 2023, 73 - 97
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

The Criterion of Intentionality in the Book of The Tiger and the Fox by Sahl ibn Harun: A Textual Study

Mona Massad Mahmoud Abdel Aziz [(1)] Azza Hussein Ghorab[(2)]
[(1)] Master's Student, [(2)] Associate Professor of Linguistics Arabic Department- Faculty of Arts - Damietta University

Abstract

Intentions are one of the factors that influence linguistic usage at the level of interpretation, guiding writers in selecting methods that effectively convey their intended messages amidst contextual factors. This study aims to examine contemporary textual standards and their application to ancient Arab heritage books in the field of textual linguistics. Using the lens of textual linguistics, it seeks to uncover both direct and indirect intentions conveyed through the text, which is narrated through on the tongues of animals. Reflecting the life of Sahl during the early Abbasid era, the study contextualizes the allegorical content within a framework of political, cultural, psychological, and cognitive factors. This necessitates a specialized reading to decode the allegory's nuances, perceive its hidden meanings, and move beyond surface-level comprehension to a deeper understanding. Comprehending the historical context within which the text was crafted, particularly within the context of the first Abbasid era, is essential for unveiling its latent intentions. Intentionalism fosters an interactive relationship between linguistic and extra-linguistic components, constructing a semantic structure that connects the text with its author and reader. This mechanism facilitates a more profound involvement in the communicative exchange.

Keywords: intentionality, The Tiger and the Fox, Sahl Ibin Harun

Article history:
Received 21/2/2023
Received in revised form 12/3/2023
Accepted 16/4/2023

1. مقدمة

يتناول علم اللغة النصي مجموعة من المعايير التي حددها دي بوجراند بسبعة معايير ذات أهمية كبرى في الدراسات الإنسانية, والتي بها تتحقق نصية النصوص ووحدتها، وتتجاوز هذه المعايير البنى السطحية للنصوص وعفويتها، وما يعتقده المتكلم من معارف مرورًا بالمتلقي وقدرته على الفهم والتأويل؛ أي إنها تتعلق بالبحث عن الدلالة والمعنى وصولًا إلى دور السياق وأثره البارز في التفاعل الكلامي، ومنها تحديد مقصد المتكلم .

والمقاصد هي أحد هذه العوامل المهمة المؤثرة في الاستعمال اللغوي فكما أن لكل نص سياقًا، كذلك فإن كل نص -من وجهة نظر اللسانيين- لا يخلو من المقاصد .

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في القصد لدى سهل بن هارون في كتابه النمر والثعلب، وقد اعتمد البحث في مساره على المنهج الوصفي لارتباطه بطبيعة منهج علم اللغة النصي, عن طريق الاستعانة بالعناصر اللغوية وغير اللغوية للكشف عن المقاصد لدى المؤلف. وتتعلق القصدية بالمتكلم وما يدور في ذهنه أثناء العملية التواصلية، سواء عن طريق التصريح باستعمال ألفاظ مباشرة أو التلميح باستعمال الرموز. وبذلك فإن تاويل النصوص وبلاغ مرامي مقاصدها لا يتم إلا من خلال السياق اللغوي، وعليه كان اختيار الباحثة لهذا الموضوع رغبة في التعرف على المقاصد لدى سهل بن هارون. وقد حاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة الوقوف على بعض النقاط المهمة منها:

- مفهوم القصد بين الثقافتين العربية والغربية.
- أنواع المقاصد.
- ماهية المقاصد المستوحاة من كتاب النمر والثعلب.

وكتاب النمر والثعلب هو أحد النماذج النثرية الفريدة ألفه سهل بن هارون، وجاء بأسلوب القصة على ألسنة الحيوانات، وقد بقى طي الكتمان إلى أن عثر على مخطوطه الدكتور عبد القاهر المهيري ،وقام بتحقيقه في أواخر سبعينيات القرن الماضي، ويقع الكتاب في حوالي اثنتين وسبعين صفحة، وتدور القصة حول ثعلب يقال له مرزوق، كان يعيش مع زوجته في وادٍ، فأتاهم السيل، وأغرق زوجته، وتعلق الثعلب بخشبة أنقذته من الغرق، حتى وصل إلى جزيرة، وجد فيها ذئبًا، تخضع له جماعة من الذئاب، ورغم وجود البقر الوحشي والظباء فإنهم لا يقتربون منها خشية وجود النمر الطاغي الذي يحكم الجزيرة، لكن الثعلب أشار على الذئب أن يأتي النمر ويطلب منه أن يكون واليًا، وأن يرسل إليه نصف ما يكسبه، وظل به حتى اقتنع وذهب للنمر الذي جعله واليًا

على منهل الظباء، وذهب الذئب إلى ولايته واصطحب معه الثعلب بعد أن جعله وزيرًا له، وصلحت حالهما؛ ولكنه نقض عهده مع النمر، فأرسل إليه النمر يذكره ما كان بينهما من عهود، ويستشير الذئب الثعلب فينصحه بأن يصدق النمر حتى لا يقع تحت غضبه، وأن يحسن الولاء إليه، ولكنه لم يسمع له واستمر في العصيان، حتى قامت بينهما الحرب التي انتهت بمقتل الذئب الجاحد، وكاد النمر أن يقتل الثعلب أيضًا لولا أن الثعلب استرحمه ووعده أن يكون في خدمته، فيطلب النمر من وزرائه أن يختبروا حكمته ورجاحة عقله، فيعجب النمر بما يرى من كلامه وحسن عقله، ويأمر أن يقيم في جواره.

إن تناول القصدية في كتاب النمر والثعلب هي محاولة لتلمس المؤثرات والدوافع لدى سهل بن هارون, والتي كانت سببًا لإنتاجها، وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الدراسات التي تناولت هذه القصة بالدراسة والبحث منها:

-حكايات الحيوان في التراث العربي، الدكتور محمد رجب النجار، مجلة عالم الفكر، المجلد٢٤، العددان الأول والثاني، الكويت, ١٩٩٥م.

-القصة على لسان الحيوان (كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون) نموذجًا، قحطان صالح الفلاح، مجلة التراث العربي، العددان ٨٦-٨٧، دمشق، اتحاد الكتاب العربي, ٢٠٠٢م.

وما يمّيز هذه الدراسة عما سبقها هو أنها اتخذت القصة نفسها مصدرًا أساسيًا للبحث، وقد سعت الباحثة لتلمس ما تحمله القصة من رموز ومعانٍ، وتحليلها بهدف الوصول إلى غاية هذا البحث.

2. مفهوم القصدية في التراث

أولى النقاد والبلاغيون القدامى العلاقة بين المتكلم والمتلقي عناية فائقة، ومن مظاهر ذلك الاهتمام بضرورة توافر القصد في النص أو الكلام، فالقصد هو مفتاح فهم النص، فلا يمكن فهم مدلول الكلام دون أخذ قصد المتكلم بعين الاعتبار.

يقول ابن القيم "الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما يستدل بها على مراد المتكلم، والعبرة بإرادة المتكلم، لا بلفظه[8]".

كذلك ارتبط المعنى بالقصد عند أبي هلال العسكري إذ يقول:"المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه؛ فيكون معنى الكلام ما تعلق به القصد"[8].

[8] ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص167

أما الجاحظ فأوضح أثره بقوله: "مدار الأمر والغاية التي يجري إليها السامع والقائل، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[8].

وقد عبر النقاد والبلاغيون القدامى عن القصد بالعديد من المفردات منها الغرض، والحاجة، والفائدة، والمراد، وغيرها، بل إن تعريفهم للبلاغة تضمن جانبًا من القصدية، فقد اشترطوا لتحقيق بلاغة النص أو الكلام وضوح القصد للسامع[8].

وظهر ذلك جليًا في العديد من المصنفات النقدية البلاغية القديمة منها ما ذكره الجاحظ في قائل الشعر "إذا لم يقصد إلى الشعر، فلا يعد قوله شعرًا"[8]؛ أما ابن فارس فقد قصر المعنى على القصد في قوله "أما المعنى فهو القصد"[8].

وتجدر الإشارة إلى أن النقاد فطنوا إلى العلاقة بين القصد والقول من ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني "أن يكون بليغًا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرًا فيورد على وجه حقيقٍ أن يقبله المقول له"[8].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن القصد في الخطاب إنما هو من البديهي في النص يقول "وكان مما يعلم ببداهة العقول، أن الناس إنما يُكلم بعضهم بعضًا، ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده"[8].

وفي ذلك إشارة إلى أن القصد له علاقة عميقة بالمعنى، بل إن القصد يمكن أن يكون هو المعنى المتواضع عليه في اللغة.

من ذلك يمكن للباحثة القول، إن الاستعمال الأصولي لمفهوم القصدية هو الغاية من الكلام، فكل كلام لا بد أن يكون له قصد، وعلى هذا فإن الفهم الصحيح للكلام إنما يكون بحمله على معناه الذي وضع له، فمراد

---

(8) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص 32

(8) عمرو بن الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص60

(8) ينظر: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين: تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، ج1، ص15

(8) الجاحظ: البيان والتبيين: ج1، ص78

(8) أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، حققه وقدم له: مصطفى السيوفي، ص289

(8) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1381، 1961م، ص118

(8) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص53

الأصوليين في تحليل مفهوم الخطاب، هو اكتشاف المقصود منه، وقد وضعوا للقصد أكثر من معنى:

- القصد الدال على معنى معين: ويتضمن وجود قرينة تدل عليه في الكلام.
- القصد بمعنى غرض المتكلم من كلامه؛ أي القصد الذي يصل إلى المتلقي.
- القصد بمعنى العلة: وهو أن يكون القصد من النص لعلة معينة، مثل المقاصد لمعرفة العلل اللغوية، أو الشرعية، وهو ما يعرف بمسالك العلة[8].

3. مفهوم القصدية في الدراسات اللسانية

تعد القصدية Intentionality هي المعيار الثالث من معايير تحقق النصية، بل هي شرطٌ أساسيٌ في كل أنواع التواصل الإنساني، وقد وضع لها دي بوجراند ودريسلر مفهومًا يتمثل في "اتجاه منتج النص إلى أن تؤلف مجموعة من الوقائع نصًا متضامنًا متقارنًا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده؛ أي نشر معرفة أو بلوغ هدف يتعين من خلال خطة ما"[8].

ويعرفها دي بوجراند بكونها "موقف منتج النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها المتكلم نصًا يحتمل معنى بعينه، وهذا النص وسيلة للوصول إلى غاية ما، ويشترط فيه تحقيق الانسجام والاتساق لتحقيق النصية"[8].

وبذلك فإن منتج النص يكون فاعلًا في تشكيل اللغة وتركيبها، بل يمكن القول :"إن القصدية هي "الشيء الذي يبتغيه الكاتب من عملية التواصل مع المتلقي، باستعمال وسائل لغوية سائدة، أي أنها باختصار، مقصد المتكلم الذي ينبغي أن يتضح لدى المتلقي"[8].

ويذكر محمد مفتاح أن القصدية هي "الدلالة والفهم، فالدلالة تعني ضرورة توافر قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم يعني الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المتلقي"[8].

---

[8] ينظر: محمود طلحة: منوال الأصوليين في تحليل الخطاب، (مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب) جامعة الأغواط، ط3، 2013م, ص62:ص65

[8] روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتب، مطبعة القاهرة، ط1، ص30

[8] روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص103

[8] روبرت دي بوجراند، ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ص30

[8] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، الدار البيضاء، المركز العربي، ط2، ص140

ويرى محمد مفتاح أن الباحثين جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين لغة الإنسان وغيره هي "المقصدية"، ولكن هناك من قصرها على ما ورد فيه جذورها صراحة أو ضمنًا مثل (بارت Barth) ومنهم من جعلها مسبقة مثل (جريماس Greimas)، كما أن منهم من جعلها ميكانيكية موجهة من أمثال (أوستين Austin) و(كريس Grice)، و(سيرل Searle)، بيد أنها لا تقتصر على المتكلم، ولكنها تشمل المخاطب أيضًا، ولهذا فقد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق، وقد تختلفان درجات من الاختلاف "نظرية التلقي"[8].

كما يذكر أن المقصدية قد تكون لغوية أو غير لغوية، سابقة وحاصلة أثناء العمل، على أن الذي يهمنا هو السلوك اللغوي، فهو مشتق من المقصدية وليس العكس، فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية بتحديد أشكالها وخلق إمكان المعنى[8].

ويوضح محمد خطابي أنه "من أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان إنتاج الخطاب ومكانه "[8].

فشخصية المتكلم ومعتقداته، ومقاصده، وتكوينه الثقافي والفكري والمعرفي، وأيضًا الظروف الخارجية كظروف البيئة، والمكان، والزمان والتقاليد الاجتماعية المختلفة، كل ذلك يسهم بشكلٍ كبير في فهم الخطاب وبيان مقاصده.

ويذكر صلاح حسانين أن القصدية "تتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتناسقة، والمتماسكة، وسيلة لإنجاز قصد المتكلم، ومثال ذلك توزيع المعرفة أو الوصول إلى هدف يحدد في ضوء خطة ما"[8].

وقد وضع الباحثون شروطًا ثلاثة يجب أن تتوافر في النص لكي يتحقق بها قصدية النصوص, وهي[8]:

---

(8) محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م، ص38، 39

(8) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص164،163

(8) محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص297

(8) صلاح حسانين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، ص231

(8) بشرى البستاني، والمختار، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، جامعة؛ مجلة أبحاث كلية الدراسات الأساسية المجلد1، العدد1، 2011م، ص188

الأول: وجود المنتج أو المبدع الذي يعد نصًا متماسكًا مترابطًا له أهداف محددة ومقاصد معينة ورسالة موجهة.
الثاني: متلقٍ جيد يجيد فك شفرات النص ويحلل معانيه، وصولًا إلى الأهداف الخفية غير المعلنة.
الثالث: قناة تواصلية تربط منتج النص بمتلقيه.

إذن فالقصدية تتعلق بإرادة منشئ النص، وتوجيهه للنص نحو دلالة محددة، ويتحقق ذلك أيضًا بمساعدة معياري التماسك والانسجام اللذين يمثلان أهم القرائن التي تساعد المتلقي على معرفة قصد المنشئ والوقوف على معنى النص[8].

وهذا يعني أن القصدية تقوم على منشئ النص؛ الذي يجعل انسجام النص وتلاحمه يسيران معًا نحو هدفٍ ما وفق خطة تسهم في إيصال الرسالة التي يحملها النص، ثم يأتي دور المتلقي الذي يقوم بفك شفرات النص وبيان مكنونه.

إن النصوص الأدبية عامة تتميز بكونها قابلة للتأويل وتعدد المعاني فيها، وهذا يجعل الحكم على معنى النص أمرًا نسبيًا لا يمكن الجزم به، مما يعني تعدد المعنى بتعدد القراءة للنص[8].

وقد تبلورت القصدية عند المحدثين حول مجموعة من المفاهيم أهمها نظرية الأفعال الكلامية، ويعد أوستين (Austin) أول من أسس لهذه النظرية، وتقوم هذه النظرية على أن وظيفة اللغة هي وصف العالم الخارجي, وهو ما أسماه أوستين المغالطة الوصفية؛ إذ لا تكمن وظيفة اللغة في وصف العالم الخارجي أو التعبير عن الأفكار، لكن وظيفة اللغة -على حسب ما يرى أوستين- هو تحويل الأقوال إلى أفعال في بناء سياقي معين؛ لأن الأقوال التي تتم في إطار معين تصبح أفعالًا بمجرد النطق بها[8].

ثم تطورت هذه النظرية لدى سيرل (Searle) فقد عرف القصدية بأنها " سمة العقل التي توجه بها الحالات العقلية، أو تتعلق بها حالات عقلية، أو تشير إليها، أو أنها تهدف نحوها في العالم"[8].

---

[8] روبرت دي بوجراند، ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص20

[8] محمد عبد المطلب :النص المفتوح والنص المغلق، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 984، 2004م، ص11

[8] فيليب بلانشيه: التدوالية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة (صابر الحباشة)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، ص2007م، ص30

[8] جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م، ص102

وانطلق سيرل في محاولات ترتيب مباحث نظرية أفعال الكلام وإعادة صياغة جديدة لمباحثها التي وضعها أوستين، فاقترح مجموعة جديدة من الأفعال، وأطلق عليها الأفعال اللغوية، الذي أراد من خلالها أن يؤكد أن دراسة الأفعال الإنجازية في الجملة هي نفسها دراسة المعنى اللغوي لها [8].

4. أنواع المقاصد

ميز كريس بين أنواع للمقصد, وهي:

- أوَّلي: يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم.
- ثانوي: ويكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم.
- ثلاثي: ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف برغبة المرسل في سماع القراءة[8].

أما "سبيربر وويلسون" فيميزان بين نوعين من المقاصد وهي:

أ) المقصد الإخباري؛ أي ما يقصد إليه القائل من حمل المخاطبة على معرفة معلومات معينة.

ب)المقصد التواصلي ؛ أي ما يقصد إليه القائل من حمل المخاطبة على معرفة مقصده الإخباري[8].

إن القصدية باعتبارها أحد معايير علم النص لا تعتمد على الوصول إلى مقاصد المتكلم فحسب، بل تدرس المعنى الذي يرمي إليه المتكلم، أو النص، وفق اعتبارات عدة استنادًا إلى هوية المنتج، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكشف الخطاب، وعمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي ليحلل الخطاب وصولًا إلى المعنى أو مضمون الكلام والنص[8].

مما سبق نستنتج أن القصدية هي الشيء الذي يبتغيه المتكلم أو الكاتب من عملية التواصل مع المتلقي؛ باستعمال وسائط لغوية سائدة، أي أنها –باختصار- مقصد المتكلم الذي ينبغي أن يتضح لدى المتلقي[8].

---

(8) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص70

(8) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص164

(8) آن ربول، وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغنوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص79

(8) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد 164، الكويت، 1992م، ص199

(8) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص122

إذن "النص ليس بنية عشوائية، وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقًا ومترابطًا لكي يحقق هدفًا ما، وبمعنى آخر فهو عمل مخطط يستهدف به تحقيق غاية بعينها"[8].

5. تحليل معيار القصدية في قصة النمر والثعلب لسهل بن هارون

إن قراءة النص الأدبي ورحلة البحث عن مقاصده في الحقيقة هو عمل إبداعي، فكلٌ من النص والقارئ في جدل مستمر، يحاول فيها القارئ كشف خبايا النص، ومقاصده الخفية، ويكون النص كمتاهة دلالية، يحاول المتلقي فيها الوصول للمعنى الذي وضعه كاتب النص وبذلك "يصبح العمل الأدبي عملًا تكامليًا تفاعليًا تعاونيًا بين المنتج والمتلقي، حيث يقوم المؤلف بوضع الكلمات، ليأتي القراء فيحاولون فهم متاهات النص وفك شفرات الرسالة، وتوهب للنص القراءة المتجددة بتعاقب المؤولين"[8].

وهذا يعني أن النص يكون ثابتًا, أما فعل القراءة فإنه يتجدد بتعدد التأويلات تبعًا لتعدد القراءات، فمع كل قراءة جديدة للنص يعيد القارئ إنتاجه بصورة جديدة، فتتولد عن ذلك مقاصد جديدة, وهذا يؤدي إلى وجود أنواع متعددة من المقاصد:

- مقصدية المنتج المعلنة التي يحاول المتلقي الذي ليس بمعاصر أن يفهمها ويتأولها.
- مقصدية المنتج المضمرة التي يسعى المتلقي الذي ليس بمعاصر أن يستخرج حساب تأويلها، ولكن مهمته حينئذٍ عسيرة جدًا[8].

من هنا تبدأ رحلة البحث في أعماق النصوص، فكلما كان منشئ النص أديبًا، بليغًا، ذا ثقافة واسعة، ودراية كاملة باللغة، واستعاراتها، ومجازاتها، زاد الغموض، والرموز، والإشارات، مما يجعل النص يصبح حافلًا بالدلالات والرموز والتأويلات، وهذا ما نجده عند سهل بن هارون في كتابه قصة النمر والثعلب، فقد كان سهل بن هارون صاحب عقل وأدب، نضج فكره في العصر العباسي، وكان من بين الأدباء الذين عُرفوا بالذكاء وحسن الفهم.

---

(8) حسام أحمد فرج:نظرية علم النص، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م، ص50

(8) نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، دار التنوير، بيروت، 1983م، ص6

(8) محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وإنجاز) المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006م، ص82،83

ودراستنا هذه تهدف إلى البحث في المقاصد التي وضعها سهل بن هارون في كتابه النمر والثعلب, وهي:

1) قصد المعارضة

تعد القصة على لسان الحيوان من أقدم أنواع القصص، وأكثر الأنماط وجودًا في جذور ثقافتنا العربية، ذلك الجنس الأدبي الذي عرفه تراثنا العربي عن طريق (كليلة ودمنة) لابن المقفع، إذ يعد القصص على لسان الحيوان أو الخرافة كما أسماها ابن النديم سبيلًا آمنا يسلكه الأدباء، وحكام السياسة، وأصحاب الإصلاح الاجتماعي في العصور التي شاع فيها الاضطرابات السياسية، وطغيان الحكام وجبروتهم.

لقد كان سهل بن هارون من أوائل من عارض ابن المقفع، متخذًا كليلة ودمنة نموذجًا في القص على لسان الحيوان، فحاكاه سهل في أكثر من كتاب كما يتضح لنا من عناوين مؤلفاته.

ولم يستعر سهل الجنس الأدبي فحسب، بل أحيانًا فقرات بتمامها، وليس معنى ذلك أن سهلًا كان يقصد بذلك تقليد هذا النموذج تقليدًا أعمى، لكنه كما ذكر المسعودي تأثر " بابن المقفع واقتفى أثره في أكثر من كتاب كان أجلها قدرًا ومنزلًا كتاب (ثعلة وعفراء) الذي ذكر المسعودي أنه زاد على (كليلة ودمنة) في حسن نظمه[8].

فتأثر سهل بن هارون كثيرًا بابن المقفع يتضح جليًا من خلال بعض المشابهات المفصلة بين الكتابين، بل إن فقرات بتمامها أوجدها سهل بن هارون في كتابه منها قوله:

- "لا يواظب على باب السلطان من يطرح الأنفة ويحمل الأذى ويكظم الغيظ، ويرفق بالناس، ويكتم السر"[8].
- "إن أمورًا ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج ولا يسلم منها إلا قليل وهي: صحبة السلطان، وائتمان النساء على الأسرار، ومشرب السمّ على التجربة"[8].
- "ما الإخوان ولا الأعوان، ولا الأصدقاء إلا بالمال، ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرًا قعد به من العدم عما يريده"[8].

---

(8) المسعودي: مروج الذهب، شرح وتقديم: د. مفيد محمد قسيمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، ج1، ص79

(8) عبد الله بن المقفع :كليلة ودمنة ،تأليف الفيلسوف بيديا ،دار النهج ،سوريا ،ط1، 2011ص100، سهل بن هارون :النمر والثعلب ص15

(8) كليلة ودمنة :ص 102، النمر والثعلب ص15

(8) كليلة ودمنة: ص 189، والنمر والثعلب ص16

- أيضًا "ليس للعدو .... إلا الهرب منه"[8]،
- "من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك، فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار إلى أصل أمره: كالماء الذي يسخَّن بالنار، فإذا رفع عنها عاد باردًا"[8].

ومن أمثلة معارضته أيضًا بعض المواقف المتشابهة وليس فقط النصوص منها:

في (كليلة ودمنة) يطلب الإسكندر من الملك مبارزته وعدم تعريض أتباعهما للخطر[8]، وهو أيضًا ما قاله النمر خداش الذي ذهب لملاقاة الذئب في المرة الأولى[8].

في كلا الكتابين يظهر الكاتب دور العقل وأهميته،[8] وأيضًا تفضيل الحياة الآخرة على الحياة الدنيا[8].

وصراع الذئب والنمر في قصة سهل[8]، يقابله صراع الأسد والثور عند ابن المقفع[8]، مع اختلاف بعض تفاصيل القصتين ففي النمر والثعلب أعلن الذئب تمرده وعدم ولائه للنمر، أما الثور عند ابن المقفع، فقد كان مظلومًا وشى به أعداؤه عند الأسد.

وفي (كليلة ودمنة) نجد السمك وهو يقول ما مفاده أن العاقل لا يمتنع من استشارة عدوه لعله يجد من مشورته ما يفيده[8]، وهذا المعنى أيضًا نجده في قول الوزير الثالث في كتاب سهل[8].

وأخيرًا نجد إدانة لتصرف شرب السم على التجربة في كلا العملين[8]، وأيضًا ركوب المشقة والخطر في بعض الأحيان للوصول إلى الهدف[8].

2) القصد السياسي

---

(8) كليلة ودمنة: ص 202، النمر والثعلب ص 29
(8) كليلة ودمنة: ص 251، النمر والثعلب ص 46
(8) كليلة ودمنة :ص9
(8) النمر والثعلب :ص 34
(8) كليلة ودمنة :ص23، والنمر والثعلب ص51
(8) كليلة ودمنة 85:ص، والنمر والثعلب :ص69
(8) النمر والثعلب: ص43
(8) كليلة ودمنة: ص143
(8) المرجع السابق: ص113
(8) النمر والثعلب : ص25
(8) كليلة ودمنة :ص101، النمر والثعلب: ص15
(8) كليلة ودمنة :ص102 ، النمر والثعلب : ص16

إن القصة على ألسنة الحيوانات هي أحد السبل الآمنة التي يستطيع الكاتب أن يعبر من خلالها عن أفكاره ومقاصده دون أن يتعرض للمساءلة أو العقاب، وخاصة في عصر كالذي تواجد فيه سهل بن هارون، وهو العصر العباسي، فقد كان الخلفاء في هذا العصر يعدون أنفسهم قادة الدنيا والدين، ومحاولة توجيه الحكام أو التدخل في الشئون السياسية يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

بل إن أحمد أمين يرى أن نشأة القصص الحيواني مرتبط بالسياسة يقول "وتبينت الحاجة الشديدة إلى هذا النوع في عصور الاستبداد يوم كان الملوك والحكام يضيقون على الناس أنفاسهم، فلا يستطيع ناقد أن ينقد أعمالهم، ولا واعظ أن يومئ بالموعظة الحسنة إليهم، ففضا هذا الضرب من القول والقصص، يقصدون فيه إلى نصح الحكام بالعدل، وكأنهم يقولون: إذا كانت الحيوانات تمقت الظلم وتحقق العدل فأولى بذلك الإنسان! وإذا كانت الولاة والرؤساء تأخذهم العزة بالإثم، ويستعظمون أن يصرح لهم بنصح أو نقد، فلا أقل من وضع النصيحة على لسان البهائم! وإن كان في التصريح تعريض الحياة للخطر ففي التلميح نجاة من الضرر"[8].

وللقصص الحيواني دور كبير في الإصلاح الاجتماعي، ولا يتوقف الدور السياسي للقصة على ألسنة الحيوان فقط على كشف الظلم والفساد، بل إنه يسهم في وضع المبادئ والقيم والأفكار السياسية والإدارية، وإلقاء الضوء على بعض القيم والسلوكيات والعادات والتقاليد فتصبح دستورًا تعليميًا يتخذه من يرغب في نشر الحق والعدل والفضيلة.

وقد تكون الغاية التي يرتئيها الكاتب سياسية[8]، وربما هذا هو ما قصده سهل بن هارون عندما وضع كتابه، محاولًا فيه التهذيب الخلقي والإصلاح الاجتماعي، وتقويم سلوك كلٍ من الحاكم والمحكوم.

فإذا حاولنا استجلاء الرموز التي وضعها سهل بن هارون، وفهم ما تشير إليه، لوجدنا أنفسنا أمام سؤال مهم هو لمن ألف سهل كتابه/قصته؟ وما قصده بقوله في مستهل كتابه:

"أيَّدك الله بتوفيقه، وعصمك بتسديده، فإنّي رأيت أن أضع لك كتابًا..."[8].

---

[8] أحمد أمين : ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص207

[8] محمد رجب النجار: حكايات الحيوان في التراث العربي ص 208

[8] سهل بن هارون: النمر والثعلب ص7

وأغلب الظن أن الكتاب ألفه سهل للخليفة هارون الرشيد (ت 193هـ) بعد نكبة البرامكة وقد كان سهل من أتباعهم قبل أن يفتك بهم الرشيد، وكان مع يحيى البرمكي حينما نعى إليه جعفر وطلبه الرشيد بعد ذلك؛ فطار قلبه شعاعًا، وضاقت عليه الأرض بما رحبت فهو ربيب نعمتهم، وتابع دولتهم، بيد أن الرشيد عفا عنه، لأن الحاجة إليه قربت منه، وأبقت عليه"[8].

معنى ذلك أن الرشيد يمثل النمر، وسهل بن هارون الثعلب، والذئب هو جعفر البرمكي، وجماعة الذئاب هم البرامكة وأتباعهم.

ولعل ذلك هو الأقرب لما قصده سهل بن هارون –وإن كان هناك بعض الاختلاف- إلا أن هناك العديد من أوجه المقارنة بين القصة والنكبة التي وقعت للبرامكة منها:

أ) طلب الولاية

ففي القصة حرّض الثعلب الذئب على طلب الولاية، وهذا ما حدث مع البرامكة أيضًا، بل إنهم أيضًا كانوا كثيرًا ما يتركون ولاياتهم لأتباعهم ويعودون لأعمالهم في بغداد، وهو مقارب لما حدث مع الذئب عندما تولى مناهل الظباء واستخلف الثعلب مكانه.

ب) الطمع في السلطة

ففي القصة بعد وصول الذئب للولاية استأثر بكل شيء ورفض أن يعطي النمر منها شيئًا، وهكذا فعل البرامكة أيضًا. كما أن رفض الذئب لنصيحة الثعلب بالوفاء للملك، هو نفسه ما حدث مع يحيى البرمكي عندما نصحه أحد المقربين أن يخصص بعض أمواله للرشيد لكنه رفض وكانت الطامة الكبرى.

ج) الحقد على الخليفة

ففي القصة يظهر حقد النمر على الذئب وحنقه عليه في رسالته التي أرسلها للذئب يقول "لكنك سمنت وبطنت فاقتعدت الأشر، وامتطيت البطر، ونعق بك الشيطان مستهديًا، فسمحت له برأسك، وطاع له جبينك..."[8].

---

[8] ينظر:قحطان صالح الفلاح :كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون نموذجًا ،مجلة التراث العربي ، العدد 86،78، دمشق ،2002 ،ص265

[8] سهل بن هارون :النمر والثعلب ص18

وكذلك حقد هارون الرشيد على البرامكة والأدلة على ذلك كثيرة منها قول ابن كثير " يقال إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر"[8].

د) الخوف من زوال الملك

فقد خاف النمر على ملكه ومملكته من الذئاب مثلما خاف هارون الرشيد على ملكه ومملكته من نفوذ البرامكة.

ه) النكبة

ففي القصة يمثل الذئب جعفر البرمكي, وجماعة الذئاب هم بقية البرامكة وقد أمر النمر بقطع رءوسهم وأكل لحومهم، ومع أن الرشيد لم يقطع رءوس البرامكة جميعهم بالسيف، لكنه أباد عزَّهم، وأودع كبارهم في السجن.

و) التشابه في المراسلات

فرسالة الذئب التي أرسلها يستعطف فيها النمر، ويظهر فيها ضعفه وانكساره وطلب العفو والرضا عنه هي نفسها إلى حد بعيد رسالة يحيى البرمكي التي كتبها يستعطف فيها هارون الرشيد.

وخلاصة القول، لم يكن سهل بن هارون كاتبًا بليغًا، ومترسلًا فريدًا فحسب، لكنه أيضًا كان خبيرًا سياسيًا بارعًا، ويتضح ذلك جليًا من خلال مؤلفاته التي مثَّلت صدى للفكر السياسي للعصر العباسي الأول، فهي تجسد واقعًا حيًا عاشه فانعكس ذلك في أدبه بصورة تعليمية وفنية بديعة.

3) القصد التاريخي

أحد المقاصد المهمة من تأليف هذا الكتاب (التوثيق التاريخي) وهو إكساب هذا النص وظيفة تاريخية تحكي حقبة زمنية عاصرها سهل بن هارون في ظل الخلافة العباسية، وتبين فيها أخلاق الملوك والرعاة والولاة، وتظهر مصير كل من يعتدي على أوامر الخليفة أو يعلن عصيانه عليه. يقول "فإني رأيت أن أضع لك كتابًا في الأدب والبلاغة والترسُّل، والحروب، والحيل، والأمثال، والعالم والجاهل، وأن أشرب ذلك بشيء من المواعظ وضروب من الحكم، وقد وضعت من ذلك كتابًا مختصرًا شافيًا"[8].

وتتضح المقصدية التاريخية لدى سهل بن هارون في مسألتين:

الأولى: الجنس الأدبي للنص.

الثانية: البناء القصصي، وكيف أثَّر ذلك في بنية السرد في القصة.

---

[8] عماد الدين بن كثير: البداية والنهاية، تح: محمد عبد العزيز النجار، ج5/ص713، دار الغد العربي، ط1، 1412هـ - 1991م،

[8] سهل بن هارون : النمر والثعلب، ص8

أما عن الجنس الأدبي؛ فقد جمعت قصة النمر والثعلب التي ألفها سهل بن هارون بين نوعين من التأليف وهما القصة القصيرة بمفهومها الحديث وما تحمله من عناصر من جهة، وبين تاريخ الأدب، فالتاريخ والقصة كلاهما يشترك في وجود الحكاية، إلا أن الفرق بينهما هو أن التاريخ يحكي أحداثًا واقعية حدثت في زمن ما، أما القصة فهي تحكي أحداثًا خيالية لغرض فني، وزمن القصة وأحداثها يحدده كاتب القصة.

أما البناء القصصي؛ فقصة النمر والثعلب هي أول عمل قصصي متكامل في تاريخنا العربي القديم كما يقول ابن النديم "ولعل سهل بن هارون هو أول من فعل ذلك في كتاب مجموع متون في تاريخ الأدب العربي"[8]، وهي تحوي جميع عناصر البناء القصصي في الأدب المعاصر، ففيها:

أ) الشخصيات

وهي إما شخصيات رئيسة:

فالثعلب: تقوم عليه القصة، يتواجد في أغلب الأحداث، وتدور معظم أحداث القصة حوله.

والذئب: هو شخصية مكابرة كما يوحي اسمه ويتصف بالعناد والغرور والجحود.

والنمر: وهو الملك الذي يتسم بالشجاعة والنفوذ والقوة.

وأيضًا نجد شخصيات ثانوية:

زوجة الثعلب التي هلكت مع السيل، والثعلب طارق الذي نصح مرزوق أن يتحول من بيته حتى لا يدهمه السيل.

ووزراء النمر الثلاثة وهم مستشارو النمر فيأخذ برأيهم ومشورتهم، وسرب الذئاب الذين يعانون من الجوع وتولى خلافتهم الذئب مكابر وأصبحوا جيشه المقاتل ضد النمر، وأيضًا الظباء (البقر الوحشي) التي كانت سببًا في تصاعد الأحداث رغم عدم تواجدها الفعلي.

ب) الأحداث

تتسلسل أحداث القصة تسلسلًا فريدًا توزعت فيها مجريات الأحداث، فالجزء الأول لقاء الثعالبة, ثم حوار الثعلب مرزوق مع زوجته, والتهيئة لالتقاء الشخصيات الثعلب بالذئب, ثم المراسلات التي دارت بين الذئب والنمر وما تخللها من نصائح من الثعلب بالطاعة وعدم العصيان والتي انتهت بمقتل الذئب، لتكون بداية الجزء الثالث والأخير بحوار طويل دار بين الثعلب ووزراء النمر

(8) ابن النديم: الفهرست، ص193

في محاولة لإنقاذ حياته من الموت وانتهت ببقائه لحكمته وفطنته ورجاحة عقله.

ج) **المكان**

وفي القصة جاءت الأماكن نكرة، فبداية الأحداث "ذُكِر أن ثعلبًا يقال له مرزوق، أقام في وادٍ لم يكن به غيره"[8].وبتغير المكان يتغير الحدث، فعندما داهمه السيل انتقل من مكانه إلى آخر ولكنه مكانٌ غير معلوم أيضًا "ثم لم يزل يترامى به الموج حتى ألقاه إلى جزيرة من جزر البحر"[8].

وعلى الرغم من أن هذه الجزيرة -رغم ما فيها من خيرات لم يستطع الذئاب الحصول عليها قبل وصول الثعلب- فإنها فيما بعد أصبحت سببًا في تبدل الحال، وتحسين الأوضاع، وأسهمت في الدخول إلى عالم السلطة والنفوذ.

د) **الزمان**

وهو من العناصر الفعالة في القصة، وبحركة الزمن تتغير الأحداث والمكان، والزمن في القصة هو زمن تخيلي تقليدي، وهو السائد على مدار القصة فقد بدأ سهل قصته بقوله "ذُكِر"، وهو فعل ماض مبني للمجهول، وتتصاعد الأحداث ونجده يستخدم الأفعال ذكروا وزعموا وغيرها من الصيغ.

وهذا الزمن يُخفي وراءه زمنًا حقيقيًا قامت الأحداث فيه، وإن كانت الأفعال فيه لا نستطيع فيها أن نستشف معالم الزمن، وربما هذا التنكير من خصائص القصص الرمزية لأنها تخاطب الإنسان في كل مكان وزمان.

ه) **الصراع**

كشفت القصة عن الصراع بين السلطة والخارجين عليها، فالرسائل المتبادلة بين الذئب والنمر كان لها دور واضح في تأزم الأحداث فالنمر يستخدم لغة التهديد والوعيد (وهي لغة السلطة)، والذئب أحيانًا يظهر طاعة وأحيانًا أخرى غطرسة وتكبرًا، وهذه الرسائل كشفت لنا جانبًا من طبيعة الصراع السياسي واستعلاء السلطة في العصر العباسي.

لقد تبنى سهل أساليب سردية خاصة أراد بها الخروج على نمط القدماء، فالسرد لديه تمثل في حكاية على ألسنة الحيوان مفادها الحكمة، والرغبة في إصلاح الفرد والمجتمع، فأبدع سهل في رسم

[8] سهل بن هارون: النمر والثعلب، ص8

[8] المرجع السابق: ص12

شخصياته، وأراد أن يرسم صورة للمجتمع عن طريق قصة إصلاحية في طراز عربي بليغ.

لقد برع سهل في استخدام الخيال القصصي، وأسهم في نقل الخيال إلى النثر كما فعل ابن المقفع عند ترجمته لكليلة ودمنة، فأسهم بذلك في ابتكار مدرسة أدبية غيرت مجرى النثر عمومًا، والسرد على وجه الخصوص في أدب الخيال، استطاع فيه أن يصور مجتمعه بلغة أدبية بليغة، وأن يجمع فيه بين العقل والخيال وهو ما حقق للنص متعة فنية وقيمة جمالية.

4) القصد التعليمي

لقد وضع سهل في كتابه مجموعة من الأبعاد التعليمية ويتضح ذلك من قوله: "وقد وضعت من ذلك كتابًا مختصرًا شافيًا، وجعلته أصلا للعالم الأديب والعاقل الأريب"[8].

إن المضامين التعليمية التي قصدها سهل في كتابه لا يدركها إلا الأديب الأريب، فقد ضمن كتابه –على حد قوله- البلاغة والترسّل، والأمثال والحيل، والقضايا، فكان كتابه مثالًا للأدب الرفيع، وقد ساعده على ذلك امتلاكه العديد من المواهب العلمية والفكرية، بحكم مولده ونشأته.

كما ضمن سهل قصته ثماني رسائل ديوانية هي نموذجٌ رفيعٌ للأدب، ابتكر فيها المزاوجة بين السرد القصصي والترسُّل، فكانت انعكاسًا لما يحدث في دواوين الخلافة العباسية آنذاك، وربمّا قصد بها سهل التركيز على أهمية الترسُّل السياسي في ذلك الوقت، وأثر ذلك في الواقع الفعلي في تطوير الأحداث في الدولة العباسية.

وهناك أيضًا مسألة أخرى ارتبطت بالجانب التعليمي، ولها أثرٌ كبير في البناء القصصي للنمر والثعلب وهي اعتماد القصة على البنية الحوارية في تقديم المضمون سواء كان ذلك الحوار بشكل مباشر، أو كان حوارًا داخليًا بين الشخصيات في القصة.

"فالحوار يؤدي دورًا مقصودًا وله غايات سردية مهمة داخل العمل الفني"[8]، ولقد اعتمد سهل على الحوار والمناظرة والمباحثة ولهذا جوانب تعليمية مهمة، فالحوار يسهم في تقليب وجهات النظر، وتناول القضايا من جوانب مختلفة.

---

[8] المرجع السابق:ص8

[8] عبد السلام محمد: الحوار الداخلي وتيار الوعي في بناء فن القصص، مجلة المعرفة، مجلد (421)، ص93

ومهمة الحوار أيضًا أن يجعل الشخصيات تعيش الأحداث أمامنا دون وسيط،[8] مما يؤدي إلى طرد الملل وإضافة جو واقعي للقصة.
ومن الآليات التي اتبعها سهل أيضًا وارتبطت بالجانب التعليمي آلية (التعميم)، فالتعميم هو مبدأ مهم من مبادئ التعليم خاصة إذا كانت المفاهيم المراد تعليمها هي مفاهيم اجتماعية وأخلاقية غير مرتبطة بمكان أو زمان ما.

فلا نجد سهلًا يهتم بالمكان القصصي إطلاقًا، فلم يعطه اهتمامًا، وجاءت الأماكن كلها نكرة منذ انطلاق الأحداث في البداية "ذكر أن ثعلبًا يقال له مرزوق أقام في وادٍ لم يكن به غيره".[8]

فكلمة (وادٍ) لا تدل على مكان سوى واد لا نعلم أين هو، ثم ينتقل بالأحداث إلى مكان آخر نكرة أيضًا: "ثم لم يزل يترامى به الموج حتى ألقاه إلى جزيرة من جزائر البحر".[8]

فالجزيرة أيضًا غير معلومة، ثم تسير الأحداث حتى يصل إلى أن قابل الثعلب الذئب "فتفرقا وتواعدا موضعًا خفيًا يلتقيان فيه"[8]، فكلمة الموضع أيضًا جاءت نكرة وغير معلومة.
وتنكير المكان له فائدة تعليمية مهمة تجعل الإنسان يستطيع أن يغير مكان الأحداث وزمانها إلى أماكن وأزمنة أخرى.

أما عنصر (الزمان) فقد أتى مهمشًا أيضًا فإننا لا نجد أي إشارة يمكن الاعتماد عليها في تحديد زمن الخطاب، فإذا عدنا إلى الزمن في القصة نجد أنفسنا أمام أزمنة عديدة فقد بدأها سهل بقوله "ذُكر أن ثعلبًا يقال له مرزوق، ويكنى أبا الصباح، أقام في وادٍ لم يكن به غيره، فصبر عليه زمان وهو في حسن الحال"[8].

فبدأ النص بالفعل ذُكر وهو مبني للمجهول، دون أي إشارة تذكر إلى زمن معين، فالأحداث تدور في الماضي ولكنه ماضٍ مبهم لا نعلم عنه شيئًا.
كما أننا نجد سهلًا يلجأ إلى ما يعرف بالإضمار الزمني "وهو إسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع

---

[8] توفيق الحكيم: فن الأدب، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت) ص149
[8]سهل بن هارون : النمر والثعلب، ص8
[8] المرجع السابق: ص12
[8] المرجع السابق: ص13
[8] المرجع السابق:ص8

عن طريق إلغاء الزمن الميت في القصة والقفز بالأحداث إلى الأمام، وهو بعبارة أخرى المقطع المسقط في النص من زمن الحكاية"[8].

من ذلك "فلما ورد الكتاب على النمر سره ما وصف به الذئب نفسه من الشكر، وما أشار به في كتابه من الاعتذار، وما أقر به الذئب؛ ومسألته إقالة عثرته.. وتعلقت نفسه بورود هداياه، وحفه، فكان لذلك منتظرًا وعن رسله سائلًا، حتى مضت لذلك أيام وشهور لا يرى شيئًا"[8].

تلك الأيام والشهور لا نعلم عنها شيئًا، ذلك لأن القصص الحيواني لا يهتم بعنصر الزمان، وهذا من جانب، ومن جانب آخر كانت الغاية التعليمية وراء تعميم الخطاب السردي، فهو لا يخص زمنًا دون آخر، وإنما هو خطاب لكل الأزمنة، فالقيم التي جسدها الكاتب تصلح لكل زمان ومكان.

5) القصد الأخلاقي

لقد صور سهل في كتابه/قصته تلك خروج الولاة على الخلفاء، ضاربين بعرض الحائط ما أبرموه من وعود ومواثيق ورغبتهم في الانفصال عن سلطة الخليفة، فهو يعكس واقعًا عاشه، فكثيرًا ما خرج الولاة في العصر الذي عاشه سهل بن هارون، فكان لذلك صدى كبير في كتابته، ونقله لنا سهل في صورة فنية وأدبية رائعة.

لقد أثرى سهل كتابه بالقيم والمواعظ والحكم والأمثال التي تدور جميعها في الفلك السياسي، لكنه ضمنها بقناع سردي على ألسنة الحيوانات حتى يتيح له فسحة من القول، ليبدو لنا وكأنه مجرد راوٍ يحكي لنا الأحداث بحيادية وموضوعية، فنجده يبدأ بقوله "ذُكر أنه" ليعفي نفسه من المساءلة والوقوع في المحظور، لأن طبيعة سهل بن هارون كانت ممَّن يقدّر الخلفاء، ويحرص على الطاعة والولاء لهم، بل إن طاعة الخليفة لديه واجبة، وهذا ما نراه جليًا في قصته، فهو دائم النصح للذئب الذي يمثل الوالي المتمرد وحسن الولاء له على لسان الثعلب.

وفي القصة نجد سهلًا أيضًا يسترسل في وصف الملك يقول "الملك صبي الرضا، كهل الغضب، يأمر بالقتل وهو يضحك، يخلط الجد بالهزل ويتجاوز في العقوبة قدر الذنب، وربما أحفظه الأمر اليسير، وربما أعرض صفحًا عند الخطب الكبير، أسباب الموت والحياة معلقة بطرف لسانه، لا يعرف ألم العقوبة فيبقى، ولا يؤنب عد بادرة فينتهي، يخطئ فيصوب، ويصيب فيفرط، مفتون الهوى، فظ الخليقة، أخرق العقوبة، لا

---

[8] عبد الوهاب شعلان: آليات التحليل البنيوي للنص السردي، مجلة علوم إنسانية، مجلة إلكترونية، العدد 7، سنة 2006، ص6

[8] سهل بن هارون : النمر والثعلب، ص22

يمنعه من ذي الخاصة به ما يعلمه من حزمه وعنايته وطول صحبته أن يقتله لخطرة من خطرات موجدته، ولا ينفك أن يُخطب إليه مكانه، وينافس الرجال موضعه، فلا الثاني بالأول يعتبر، ولا الملك على مثل ما فرط منه يزدجر، فارفق به، واسلك سبيل موافقته، فإنك راع في ولايته، ولا تأخذ به في طريق العجب، فيأخذ بك في طريق القهر والغلبة"[8].

هذا الوصف الدقيق لصفات الملوك وأخلاقهم قصده سهل ليرسم لنا صورة الخليفة واضحة جلية، ويرسل فيه رسالة خفية إلى الملك الذي يقصده ليلفت فيه النظر إلى بعض أخلاق الملوك، فهم يتجاوزون في مقدار العقوبة، ويخلطون الجد بالهزل، وغيرها من الأخلاق غير المرغوبة، وربما ساعده على ذلك القص على لسان الحيوان لأن فيه من فسحة القول ما لا يتواجد في غيره من الفنون الأخرى؛ وكأنه بذلك يكشف لنا عيوب الملك على نحو غير مباشر.

من ناحية أخرى نجد سهلًا يرسم صورة حسنة للملك، فهو حازم عاقل، لايستبد بالرأي، يستشير وزراءه، ويحكم بالعقل والحكمة عندما عفا عن الثعلب لما وجد فيه من رجاحة عقل وحكمة وعلم، وذلك ليحث الملوك على الاقتداء بتلك الصفات، وربما كان ذلك سائدًا في الدولة العباسية، وما تلاها من عصور ومن ذلك قوله: "فلمَّا قرأ الملك الكتاب علم أنه قد أجمع على الخلاف عليه والمحاربة له، فجمع وزراءه وكانوا ثلاثة، واستشارهم في أمره"[8].

وفي موضع آخر "وبلغ النمر مقتل خدَّاش، وتفرق عسكره فسقط ما في يده، وظن أن هذا سبب زوال ملكه، ففزع إلى وزرائه، وأهل نصيحته، فنعى إليهم خداشًا واستشارهم".[8]لقد أراد سهل في قصته أن يقوم سلوك الحاكم والمحكوم ويسلط الضوء على بعض الأخلاقيات غير المرغوبة, فلا ينبغي للحاكم أن يكون طاغيًا وظالمًا، متجبرًا في حكمه، مستبدًا برأيه، كما أن المحكوم لا بد أن يكون مطيعًا للخليفة، فلكلٍ منهما حقوق وواجبات يجب مراعاتها وعدم تجاوزها.

6) قصد المتعة والتسلية

قصد سهل بن هارون في كتابه أن يجمع بين الفائدة والحكمة واللهو والمتعة، فأسند الفعل القصصي إلى الحيوانات بدلًا من الإنسان وهذا يحقق مفارقة ممتعة، فالنص هنا يمتزج فيه الواقع بالخيال, يرى فيه القارئ الحيوانات (النمر-الذئب-الثعلب) وهي تحمل خصائص إنسانية،

[8] سهل بن هارون، النمر والثعلب، ص24
[8] المرجع السابق: ص27
[8] المرجع السابق: ص40

تتصارع فيما بينها من خلال بنية قصصية تعبر عن الواقع الاجتماعي والسياسي.

وهذا بدوره يجعل للنص القصصي مستويين:

المستوى الأول: هو المستوى الظاهر السطحي، ويتحقق ذلك لدى القارئ من خلال أحداث القصة والحوار القائم بين الحيوانات بعضها مع بعض، وهو يؤدي إلى المتعة والتسلية.

المستوى الثاني: مستوى أعمق يتحقق عن طريق فهم الحكمة من النص والفائدة التي وضعها الكاتب في القصة.

وللقارئ دوره في محاولة الكشف عن الرموز وتحليلها حتى يصل إلى هدف المؤلف وما تخفيه تلك الرموز من انعكاسات تتوراى خلفها.

لقد حاولت الباحثة قراءة هذا النص التراثي قراءة متأنية لا تتوقف عند حدود الدلالة فقط، ولكنها تعدَّت ذلك إلى محاولة الوصول إلى مقاصد المؤلف، وقد جاءت المقاصد لدى سهل بن هارون بطريقة شبه معلنة فهو يضع القارئ أمام مقاصده بشكل مباشر دون الحاجة إلى التأويل الذي قد يطبع البحث بطابع ذاتي.

خاتمة

تعتمد القصدية في النصوص بحسب النظرية النصية الحديثة على جميع المؤشرات اللغوية وغير اللغوية التي يتيحها النص للمتلقي ،حيث يعتمد عليها في تأويل دلالة النص، أو تجعله يقترب كثيرًا من قصد الكاتب أو المتكلم، وهذا السياق يتوافق مع كثير من الإشارات في كتب التراث العربي البلاغي والنقدي قديمًا، وما يتعلق بها من قرائن لفظية ومفهوم السياق والمقام وغيرها من العناصر التي يستأنس بها المتلقي، ولها أثر بالغ في فهم النصوص وتأويلها.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد وعي سهل بن هارون لمفهوم القصدية، وأهمية توافرها في النص ،وهو دليل على تأصيل وجود المصطلح في تراثنا العربي القديم، وعناية الأدباء والكتاب به.ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي :

1) وعي سهل بن هارون بأهمية التلقي, فكتاب النمر والثعلب متعدد القراءات, فاستخدام سهل الحكاية على لسان الحيوان يتطلب من المتلقي أن يتجاوز القراءة السطحية إلى ما بين السطور وفك شفرات ورموز وهو ما يحتاج إلى متلقٍ فطن حكيم لديه القدرة على إدراك المقاصد الكامنة وراء النص.
2) يهدف الكتاب إلى التهذيب والإصلاح وقد جاء القالب القصصي وما احتواه من حكم ورسائل ليمثل وسيلة لإيصال هذا المضمون

ووضع المبادئ والقيم والأفكار السياسية والإدارية وليس فقط كشف الظلم والفساد.

3) ابتعاد سهل بن هارون عن التصريح وعدوله إلى التلميح نتيجة الأوضاع السياسية والاجتماعية التي شهدها العصر العباسي والتي عاصرها سهل حتى لا يقع تحت المساءلة أو العقاب.
4) تأثر سهل بن هارون وتشبعه بالثقافة الفارسية خاصة كليلة ودمنة التي استقى منها موضوعه وبعض جزئياته.
5) يزخر الكتاب بالعديد من المواد الأخلاقية التي دعت إلى النصح والتوجيه وتعديل السلوك, ودارت في مجملها حول الصراع بين الخير والشر, وقد جعل سهل الانتصار للخير في النهاية وغلبة العقل وزهد الدنيا, وظهر ذلك في الحوار الذي دار بين شخصيات الكتاب.
6) تدل القصة على سعة الجانب المعرفي لدى سهل بن هارون وإلمامه الموسوعي بالحكم والأمثال التي استقرت في النفوس عبر الزمن، وحسن توظيفه لها بما يتناسب مع السياق السردي في القصة .
7) إن الرجوع إلى عصر الكاتب ومعرفة الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة له دور كبير في بلوغ المقاصد التي يحملها الكتاب بين طياته.
8) تسهم القصدية في الربط بين النص والمنتج والقارئ, وتجسد التفاعل بين أقطاب العملية التواصلية للوصول إلى رصد الدلالة غير الصريحة الموجودة داخل النص.

المصادر والمراجع

1. أحمد أمين: ضحى الإسلام, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة, 2012م
2. أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة, ط١ , دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1418هـ/ 1997م.
3. إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور, ج١ , سلسلة المعاجم والفهارس.
4. آن روبل وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة سيف الدين دغنوس ، محمد الشيباني, المنظمة العربية للترجمة, دار الطليعة للنشر, بيروت, لبنان, ط١، ٢٠٠٣م.

5. بشرى البستاني : المختار في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية , جامعة الموصل, مجلة أبحاث كلية الدراسات الإسلامية , مجلة 11 , العدد ١ ، 2011م.
6. توفيق الحكيم: فن الأدب, مكتبة الآداب, القاهرة ,(د.ت)
7. جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ترجمة سعيد الغانمي, منشورات الاختلاف, الجزائر, ط١ 2006م.
8. أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب, شرح وتقديم مفيد محمد قسيمة دار الكتب العلمية بيروت ط١، ج١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين, تحقيق حمدي المخزمي وإبراهيم السمرائي, ج٥، سلسلة المعاجم والفهارس.
10. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن, تحقيق محمد سيد كيلاني, شركة مصطفى الباب الحلبي, 1381هـ،١٩٦١م.
11. روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء, ترجمة تمام حسان , عالم الكتب, القاهرة, ط ١، ١٩٩٨م.
12. روبرت دي بوجراند ودريسلر/ مدخل إلى علم النص دار الكتب مطبعة القاهرة , ط١.
13. الزمخشري: أساس البلاغة, تحقيق محمد باسل, دار الكتب العلمية, بيروت, ج٢،ط١، ١٩٩٨م.
14. سهل بن هارون : النمر الثعلب, حققه وقدم له وترجمه إلى الفرنسية عبد القاهر المهيري, تونس, منشورات الجامعة التونسية كلية الآداب والعلوم الإنسانية, طبع الشركة التونسية أنت فنان الرسم الفنون الرسم ,١٩٧٣م.
15. صلاح حسانين: الدلالة والنحو, مكتبة الآداب, ط١.
16. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص, سلسلة عالم المعرفة, العدد 164 , الكويت, 1992م.
17. عبد السلام محمد: الحوار الداخلي وتيار الوعي في بناء الفن القصصي, مجلة المعرفة ،مجلد(٤٢١).
18. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز, تعليق محمد ومحمود شاكر, مكتبة الخانجي , القاهرة , ط٥ ،2004م.
19. عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، تأليف الفيلسوف بيديا، دار النهج، ط1 ،سوريا،2011م.
20. عبد الوهاب شعلان: آليات التحليل البنيوي للنص السردي, مجلة علوم إنسانية, مجلة إلكترونية, العدد27 ، ٢٠٠٦م.

21. عماد الدين بن كثير: البداية والنهاية, تحقيق محمد عبد العزيز النجار, دار الغد العربي, ج٥، ط١، 1412هـ /1991م.
22. عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبين, تحقيق موفق شهاب الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ج ١، ط١ ، 1998م.
23. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غولمان, ترجمة صابر الحباشة, دار الحوار للنشر والتوزيع, سوريا, ط١ 2007م.
24. ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين, تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم, دار الكتب العلمية, بيروت, ط ١، ج1، ١٩٩١م.
25. كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص, مؤسسة مختار للنشر والتوزيع, القاهرة, ط١، 2005م.
26. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي, بيروت ,طبعة ١ ،1991م.
27. محمد رجب النجار: حكايات الحيوان في االتراث العربي ,مجلة عالم الفكر, العدد ١، ١٩٩٥م.
28. محمد عبد المطلب: النص المفتوح والنص المغلق, مجلة الموقف الأدبي, دمشق, 2004م.
29. محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص, الدار البيضاء, المركز العربي, ط٢، ١٩٨٦م.
30. _____ : دينامية النص (تنظير وإنجاز)المركز العربي الثقافي, الدار البيضاء, بيروت, ط٣ ، 2006م.
31. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية, 2002م.
32. محمود طلحة: منوال الأصوليين في تحليل الخطاب (مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب), جامعة الأغواط ط١، ٢٠١٣م.
33. نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي, دار التنوير, بيروت, 1983م.
34. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية, تحقيق محمد إبراهيم, دار العلم والثقافة ,القاهرة, ط١, (د.ت)
35. _____: كتاب الصناعتين, تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل, ج١ ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م.